المشرق

ܕܝܰܬܩܐ (ΔΙΑΘΗΚΗ)

ܐܘܿܕܝ ܡܶܢ ܒܰܪ ܐܢܫ ܕܡܰܠܠ ܠܗ ܠܡܫܝܚܐ ܒܬܪ ܕܩܡ ܡܢ ܡܝܬ̈ܐ

كتاب عهد ربّنا

او الكلام الذي قالهُ لرسلهِ بعد قيامتهِ من بين الاموات

فذلكة من قلم

غبطة الحبر العلّامة الخطير اغناطيوس افرام الاوّل بطريرك السريان الكاثوليك

قد ألمعنا في عدد سابق من المشرق (١ ص ٩٥٦) ان غبطة السيّد المفضال والعلّامة الشهير اغناطيوس افرام الاوّل بطريرك انطاكية على السريان ترفق الى اكتشاف نسخة سريانيّة قديمة من كتاب جليل الفائدة يحتوي على طقوس البيعة في اوائل النصرانية. فتلطّف اليوم غبطتهُ وشرّفنا بارسالهِ نبذة حسنة من قلمهِ لتُدرَج في مجلّتنا مدارها على هذا الكتاب الفريد في بابهِ فاسرعنا الى نشرها ولا نشكّ في ان قرّاءنا سيتلقّونها بما تستحقّهُ من سامي الاعتبار. ودونك المقالة:

هو عنوان الكتاب الجزيل القدر الذي كان مطمورًا بين خبايا الزوايا فأبرزناهُ منها وعُنينا بنشرهِ وسيأتي الكلام عن مضمونهِ. وقد صانتهُ لنا ترجمتهُ السريانيّة سالمًا من العَبث والعيث فيهِ مع ما مرَّ عليهِ من الزمن وصروفهِ. ولمّا كان العلماء الذين ينقّبون عن العتائق المسيحية يهمّهم جدًّا الوقوف على فحواهُ بحروفهِ نقلناهُ بكل ضبط الى اللغة اللاتينية رجاء ان تهون عليهم من اي امّة كانوا مطالعتهُ ودراستهُ. وهو يُطبع اليوم في السريانية واللاتينية في احدى مطابع لَيبسيك في بلاد المانية. وقد صدّرناهُ بمقدّمة وذيّلناهُ بمقالات وضعناها في اللغة اللاتينية

ولكي يُلِمَّ القارئ اللبيب بمضمون الكتاب على وجه العموم فليعلم انهُ يشتمل على جزئين احدهما خاصٌ بارباب الكهنوت والاخر بالعلمانيين. ومنهج واضعهِ أنهُ يمثل السيد المسيح بعد قيامتهِ من بين الاموات وقبل صعودهِ الى السماء يلقِّن رُسلهُ وهم محدقون به الشرائط والرسوم التي يلزمهم مراعاتها في اختيار ارباب الكهنوت وتوليتهم البيع. ويعهد اليهم السُّنن التي ينبغي اتباعها في تقريب القربان واقامة الصلوات بحضر الجماعة وفي قَبول الداخلين في دينهِ وتعميدهم الى غير ذلك من فرائض النصرانية. ويسرد عليهم النصوص الواجبة تلاوتُها في أداء كلّ ما ذُكر. وانّ ثلاثة من الرسل الحاضرين وهم بطرس ويوحنا ومتّى دوّنوا ذلك جميعهُ في كتاب أُطلق عليهِ اسم "كتاب عهد ربنا". لأنهُ جُعل على لسان الربّ نفسهِ. وبالاجمال انّ كتاب العهد الذي يصانا بالقرن الثاني للمسيح كما سنبيّن هو الدستور الطقسيّ والنظامي للبيعة المسيحية في ذلك الزمان البعيد الامد

وانّ مصنّف هذا الكتاب بعزوهِ اياهُ الى السيد المسيح كأنهُ املاهُ على رسلهِ والى الرسل كأنهم سطّروهُ لم يقصد الّا انّ يزيدهُ منزلةً وقدرًا لكي يزداد الناس بهِ تمسّكًا لا أنْ يدّعي بانّ ما فيهِ هو بتمام الكلام المنزّل — على ان لهذا المنهج الذي نهجهُ صاحب الكتاب تأويلًا وهو انّ الشعائر الدينية والرسوم العبادية والصلوات الطقسيّة والسُّنن النظاميّة في البيعة المسيحيّة مُقتبسة في اصولها عن الرسل الذين تلقّنوا بعضها من معلّمهم الالهي ووضعوا بعضها بالسلطان الذي أُوتوهُ منهُ. ثمّ وسّعت البيعة ذلك كلهُ واضافت اليهِ اضافات على توالي الأيام

فما طار خبر اكتشافنا هذا الكتاب النفيس الجليل الى العلماء والمؤرّخين في اوربّة ولاسيما الباحثين عن كلّ ما يختصّ باحوال البيعة والمؤمنين في القرون الثلاثة الاولى من القرون المسيحيّة الّا واستبشروا بهِ وكتبوا الينا يسألوننا ان نعجّل في نشرهِ ليتيسّر لهم ان يُنبطوا منهُ ما طالما بحثوا عنهُ فلم يقفوا عليهِ ممّا اتصل بهم من آثار تلك الحقبة لانّ ما ورد عن حالة المسيحيين فيها وعن طقوسهم وشعائرهم وعوائدهم الدينية إن هو الّا اشارات قليلة مُبهَمة. اما كتابنا هذا فقد جُمعت فيهِ رسوم البيعة الاولى وسُنَنها وطقوسها بجُملتها وبشرائطها ونصوصها في جميع الاحوال المختصّة بالاكليرس على اختلاف مراتبهم وبالعلمانيين المُقبلين على الدين المسيحي والذين قد اعتمدوا على ما

كان جاريًا فيها في الفترة التي بين ايّام الرسل وايّام الملك قسطنطين الكبير

امّا المقدّمة التي صدّرنا بها هذا الكتاب في اللغة اللاتينيّة فتتضمّن الفصول الآتي بيانها:

الفصل الاول

في ذكر نسخ كتاب العهد المخطوطة باليد التي اعتمدناها في نشره

وهي ثلث اقدمها النسخة المحفوظة في خزانة الكتب بباريس وقد خُطّت في القرن الثامن للمسيح وهي تحوي نبذًا من الكتاب لا الكتاب برمته. والثانية هي النسخة الموجودة اليوم في رومية وكانت قبلًا ملك مدرستنا الاقليريسيّة في شرفة درعون بلبنان وهي ناقصة بعض النقر كُتبت سنة ١٥٧٦ للمسيح. والثالثة هي نسخة كاملة في خزانة كتب المطرنة السريانيّة بالموصل وتاريخ كتابتها سنة ١٦٥٤ للمسيح وفي الحواشي التي علّقناها على النصّ الذي اثبتناه ذكرنا ما بين النسخ من الاختلاف ولو يسيرًا طفيفًا

الفصل الثاني

في ايضاح عنوان الكتاب ومضمونهِ والمؤلّف الذي يُعزى اليهِ واللغة الاصليّة التي كُتب فيها وفي ترجمتهِ الى اللغات المختلفة

قد تقدّم الكلام عن عنوان الكتاب ومضمونهِ ومؤلّفهِ. امّا اللغة التي كُتب فيها اصلًا فهي اليونانيّة وعنها قد نقلهُ الى السريانيّة سنة ٦٨٧ للميلاد يعقوب الرهاوي الشهير وهو يدرّس يومئذٍ علم الكتاب المقدّس في دير أوسبونا الذي كان بجوار تلّ عدا في ناحية انطاكية

وقد تُرجم في قديم الزمان هذا الكتاب نفسهُ عن اليونانية الى اللغة القبطيّة. ورُجد نسخة من هذه الترجمة تخصّ احد بطاركة الاسكندريّة مذكور فيها انّها خُطّت سنة ٦٤٣ للشهداء الموافقة لسنة ٣١٣ للهجرة وعن هذه الترجمة نُقل كتاب العهد الى العربيّة ابو اسحق بن فضل الله القبطيّ. غير انّ الترجمة القبطيّة قد حرّفت نصّ الكتاب الاصليّ اذ نُسخت فيهِ رتبًا ورسومًا كان العمل بها قد بطل وأُدخلت غيرها بدلًا منها تبعًا للعادة الجارية على ايّام المترجم. وقد نبّهنا الى شيء كثير من هذا التحريف في الحواشي التي علّقناها على ترجمتنا اللاتينيّة للكتاب

وفي خزانة كتب لندن نسخٌ من الترجمة الحبشيَّة لهذا الكتاب عينهِ — وكان لهُ ايضاً ترجمة لاتينيَّة قديمة لم يتَّصل الينا منها الَّا نبذة وجيزة وُجدت في مصحف مخطوط في القرن الثامن للمسيح وهو في خزانة مكتب تريوير (Trèves)

الفصل الثالث

يحوي الدلائل او الشهادات التي تصادف في آثار الاقدمين ومؤلَّفاتهم بدءًا من القرن الثالث للمسيح الى القرن الثامن مما يثبت انَّهم عرفوا كتاب العهد وتداولهُ ابديهم وعملوا بهِ

ومن جملة تلك الادلَّة او الشهادات شهادة كتاب قوانين الرسل البيعيَّة الذي عاش مؤلِّفهُ في المائة الثالثة للمسيح . وشهادة ساويرا البطريرك المنوفوسيتي الانطاكي الذي اشتهر في المائة الخامسة والسادسة . الخ

الفصل الرابع

يشتمل على المقابلة بين هذا الكتاب وكُتب اخرى شبيهة بهِ

هو من اهم فصول المقدَّمة نذكر فيهِ الجدال القائم بين المدقِّقين عن ثلاثة كتب قديمة متشابهة المضمون والوضع أيها يكون الاصل وأيها الفرع . اوَّلها الكتاب المعروف بقوانين الرسل البيعيَّة (Canones Apostolorum ecclesiastici) او بالقوانين القبطية (Canones Aegyptiaci) . وقد طبعهُ اوَّلًا بالانكليزيَّة والقبطيَّة العالم تتَّام (Tattam) ثمَّ طبعهُ بعدهُ بالقبطيَّة لاغرد (Lagarde) احد مشاهير الباحثين عن الشرقيَّات — والثاني هو الكتاب الثامن من كتاب مراسيم الرسل المنسوبة الى اقليمس والمعروفة باسم ديَّاطكسيس الرسل (Διάταξις τῶν ἀποστόλων) — والثالث كتاب قوانين هيُوليطس الذي طبعهُ بالعربية واللَّاتينيَّة المطران هانبرغ (Haneberg) الجرمانيّ — ثمَّ انَّنا نحسم ذلك الجدال اذ نبيّن بحجج شتى انَّ الكتاب الاوَّل هو اقدمها وانَّهُ أُلف في المائة الثالثة للمسيح وانَّهُ صادر عن كتاب العهد بل هو ملخَّص عنهُ وقد استُبدل منهُ ما كان اضحى مهملًا ملغىً بما هو جارٍ ومعمول بهِ يومئذٍ . ولتوضيح ذلك نعارض معارضة مسهبة الفرع بالاصل بابًا بابًا مع التنبيه الى النُّبذ المصحَّفة من كتاب العهد والمحدثة في ملخَّصهِ اي في كتاب القوانين

ثمَّ قابلنا ادقّ مقابلةٍ الكتاب الثامن من كتب ديَّاطكسيس الرسل بكتاب القوانين البيعيَّة المذكور واثبتنا انَّ الاوَّل مأخوذ ومقتبَس عن الثاني الَّا القليل ممَّا أُحدث

وفقاً لعادة مسيحيّي الزمان الذي فيهِ أُلف الكتاب الثامن المبحوث عنهُ

اما كتاب قوانين هبُولطس فنبين بالمقابلة المفصلة انهُ ملتقط ومؤلف من كتاب القوانين البيعيَّة مع اضافات أُخرى أُضيفت اليهِ . وانهُ منسوقٌ نسقاً غير مُحكم في زمن متأخر . لانّ آثار حداثة عهدهِ تلوح جليّاً في مواضع شتى منهُ

الفصل الخامس

يتضمن الادلة او الحجج التي تثبت انّ كتاب العهد كان وضعهُ في اثناء القرن الثاني من القرون المسيحيَّة

ونبيّن ذلك اوّلاً من شهادات المؤلفين التي اشرنا اليها في الفصل الثالث من فصول المقدّمة . اذ انهُ ولئن صحّ انّ المؤلفين ذكروا كتاب العهد او تداولوهُ بايديهم بدءاً من الثالث فتازلاً فهو لا ريب يسبق زمانهم هذا اي القرن الثالث . ثم نبين ذلك بادلّة المستخرجة من باطن الكتاب . فما عدا ان لهجة المؤلف وبعض عباراتهِ لا تُرى الّا في رسائل الرسل او تآليف كتّاب القرن الاوّل او الثاني فانّا نجد ان العوائد والرسوم والسُّنن والصلوات المنصوصة فيهِ تتّفق كتبة القرن الثاني للمسيح على الشهادة بوجودها في ايّامهم وقد تبدّل ذلك بغيرهِ منذ القرن الثالث ولما بعدهُ . ومن جملة ما ذكرناهُ من هذه الادلّة الباطنة فريضة الطيّ اي الصوم عن كلّ طعام وشراب يومَيّ الجمعة والسبت من اسبوع الفصح الى نصف ليل احد القيامة يُختَم بها على المسيحيين قاطبةً . ومنها ذكرهُ انّ العماد يكون في المياه الجارية . ومنها ان القدّاس يُقدَّس يومَي السبت والاحد . ومنها ان الشماس يناول الشعب من الجسد والدم طبقاً لما يصرّح بهِ يُسطينس الشهيد في القرن الثاني وخلافاً لما قال ترتليانس (وهو عاش في القرن الثالث) من ان المؤمنين يتناولون الجسد من يد الاسقف اذ كانت العادة المذكورة قد بطلت في عصرهِ اي القرن الثالث كما قلنا . ومنها ان صلاة القدّاس تقوم بصلاة واحدة مسهبة تسمّى صلاة الاوخارستيّا او الشكر كما يشهد يسطينس ايضاً . ولا تتخللها تسبحة الملائكة الثلاثيَّة التقديس . ومنها انهُ في عدد مراتب الملائكة يذكر مرتبة الاجناد والحُلل والانوار والمسرّات واللذّات الخ

وممّا يدرأ عن ذلك كلّ شبهة ذكرُ كتاب العهد هذا لوجود المواهب والكرامات الخارقة العادة كما مألوف فيما بين مسيحيّي زمانهِ . ويخصّ بالذكر موهبة النبوّة وموهبة

الشفاء وموهبة اللغات المختلفة ويُبيّن لاصحابها محلًّا ممتازًا في المذبح . ومن المعلوم ان وجود هذه المواهب في البيعة بنوع مألوف قد انقطع منذ القرن الثالث

الفصل السادس

في بعض شطوط هذا الكتاب

مدار هذا الفصل على ما جاء في كتاب العهد مع أنهُ مستقيم المعتقد من العبارات المبهمة او غير المألوفة ومن الآراء الغريبة او الاقوال المخالفة احيانًا لنصّ الكتاب المقدّس

الفصل السابع

في وطن المؤلّف

يُبحَث فيهِ عن البلاد التي عاش فيها مؤلف الكتاب . ويُظَنّ انها بلاد الشام

(ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٤ دير القلعة

انّ آثار الاقدمين في مشارف لبنان ليست باقلّ شأنًا منها في سيف البحر فهيّا بنا أيها القارئ اللبيب قبل تقضّي البحث عن عاديّات الساحل نرقى الاعالي لاستقراء بعض هذه المآثر

وليس في جوار بيروت من هذا القبيل مكان اخطر شأنًا وأحسن مقامًا من الأبنية المعروفة اليوم بدير القلعة . وهذه الرسوم القديمة موقعها بقرب قرية مشهورة اسمها بيت مري تعلو فوق سطح البحر نحو ٧٣٠ مترًا في شرقي بيروت على مسافة ١٨ كيلومترًا منها يتقاطر اليها اهل المدينة في وقت اشتداد القيظ عند الساحل

وليت مري اليوم طريق يوصلها ببيروت تجري عليهِ العَرَبات غير انّ من يركبها